Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى آخره، لكي تبعث لذّة، أي إنها محتاجة إلى أن تصبح لغة أخرى تعد بها نفسها لاستنساخ الكتابة لها واختراعها. فإذا استنسختها هذه واخترعتها، تكون قد انتصبت فيها علامة ليس على الأصل الذي كان به حدوثها، ولكن على اللغة الأخرى التي توسّلت بها عندها حفظاً لبقائها، وانتشاراً لكائنها. ألا وإنها بميلها إلى الكتابة، واستسلامها إلى قدرها استنساخاً واختراعاً، تكون قد أحدثت قطيعة تامّة مع أصل تدمر الكتابة ذاكرته. وإذ ذاك تتحرّر من كل سلطة لتصبح سلطة ذاتها وتصير كتابة. وبقول آخر، فإن اللغة عندما تدخل الكتابة، تتطهر من بقاياها، وتلد نفسها حدثاً يفارق الأصل إلى غير عودة، وتصبح مجهولاً سمّته الثقافة العربية «سحر البيان».

● ـ لقد تحقق للغة، بدخولها عالم الكتابة، أن دلّت على نفسها، فصارت بالمكتوب إشارة دالّة، انتقلت بكائنها من المضغة إلى الكائن، ومن المسموع إلى المرئي، ومن المنطوق إلى المقروء، وتغلّبت على زوالها، فبرزت شكلاً دالاً لمعانٍ لا تنتهي.

يقودنا هذا إلى القول: إن الكتابة شرط اللغة في اكتشاف الذات، وتحقيقها، والحفاظ عليها. ولذا نستطيع أن نعتبر أن البحث في أصل اللغة (توقيفاً أو تواضعاً)، بحث صارت اللغة به أهم إنجاز لوعي الذات، وصار بها «خروج الإنسان من حريم البهيمية ودخوله في حريم الإنسانية أولى»، كما عبّر الشهرستاني عن ذلك[19].

● ـ وإذا كانت الكتابة شرط اللغة في بقائها، فإنها أيضاً شرط المعرفة في تجلّيها، لأنها تعيد تركيب اللغة بغية إبداعها، ولأنها تفكّكها بعد إبداعها لتعيدها خلقاً معرفياً جديداً. وهي تظل كذلك في خلق دائم يؤسّس للمعرفة استمرارها.

ولقد يعني هذا أن فعّالية الكتابة شرط لكل معرفة حديثة. وما